# المقتضب
# في تاريخ
# لسان العرب

عمر إسحاق أوغلو

akdem
PUBLISHING

**Akdem Publishing:** 329
**Arabic Literature Series:** 33
**ISBN:** 978-625-94966-4-1

**Title**
A Concise History of the Arabic Language

**Author**
Prof. Dr. Ömer İshakoğlu

**Publishing Director**
Dr. Muhammed Ağırakça

**Executive Manager**
Mohamad Naji

**Publishing Coordinator**
Serhat Yakıcı

**Page Layout**
Enver Demirbaş

**Cover**
Akdem Graphics

First Edition
İstanbul, October 2024

© All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, distributed, or transmitted in any form or by any means, including photocopying, recording, or other electronic or mechanical methods, without the prior written permission of the publisher.

**اسم الكتاب**
المقتضب في تاريخ لسان العرب

**تأليف**
أ. د. عمر إسحاق أوغلو

**المشرف العام**
د. محمد أغير أقجة

**المدير التنفيذي**
محمد ناجي

**منسق النشر**
سرحد ياقيجي

**تصميم الصفحات**
أنور دميرباش

**تصميم الغلاف**
أكدم للتصميم

الطبعة الأولى
إسطنبول، أكتوبر ٢٠٢٤

© جميع الحقوق محفوظة. ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله بأيّ شكل، أو واسطة؛ سواء أكانت إلكترونية، أو ميكانيكية؛ بما في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

**Printed in**
Meteksan Matbaacılık
Beytepe Köy Yolu No. 3
Bilkent-Ankara/TÜRKİYE
Phone: +90 312 266 44 10
Certificate No: 46519

Akdemistanbul Eğitim Yayıncılık ve Danışmanlık Hizmetleri
Turizm Organizasyon Tic. Ltd. Şti.
Certificate No: 40016

akdem
PUBLISHING

Akşemsettin Mah. Akdeniz Cad. No: 99-101
Fatih-İstanbul/TÜRKİYE • Phone: +90 212 521 4116
www.akdemyayinlari.com • info@akdemyayinlari.com
www.akdemistanbul.com.tr • info@akdemistanbul.com.tr

# فهرس


المقدمة ..... ٥
أصل العرب ..... ٧
أقسام العرب ..... ٩
اللغة العربية ..... ١١
العربية بعد نزول القرآن الكريم ..... ١٢
نشأة علم النحو ..... ١٥
من بوادر اللحن التي كانت سبباً في وضع علم النحو ..... ١٥
واضع علم النحو ..... ١٧
تطوّر النحو بعد النشأة ..... ١٩
١. طور الوضع والتكوين ..... ١٩
مشاهير النحاة في طور الوضع والتكوين ..... ٢٠
الطبقة البصرية الأولى ..... ٢٠
الطبقة البصرية الثانية ..... ٢٤
٢. طور النشوء والنمو ..... ٢٦
مشاهير النحاة في طور النشوء والنمو ..... ٢٧
الطبقة البصرية الثالثة ..... ٢٧
الطبقة الكوفية الأولى ..... ٣٠
الطبقة البصرية الرابعة ..... ٣١
الطبقة الكوفية الثانية ..... ٣٧
الطبقة البصرية الخامسة ..... ٣٩
الطبقة الكوفية الثالثة ..... ٤٢
٣. طور النضج والكمال ..... ٤٤
الطبقة البصرية السادسة ..... ٤٥
الطبقة الكوفية الرابعة ..... ٤٨

الطبقة البصرية السابعة..... ٤٩
الطبقة الكوفية الخامسة..... ٥١
وجوه الخلاف بين مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة..... ٥٣
٤- طور الترجيح..... ٥٦
المدرسة البغدادية..... ٥٦
البغداديون الذين تحّرروا من قيود العصبية..... ٥٧
البغداديون أصحاب البصريين..... ٥٩
البغداديون أصحاب الكوفيين..... ٧٢
المدرسة الأندلسية..... ٧٥
أشهر نحاة الأندلس..... ٧٧
المدرسة النحوية في مصر والشام..... ٨٩
اللغة العربية في العهد العثماني..... ١٠٥
الدراسات اللغوية في العصر الحديث..... ١٢١
الملحق الأول: المعاجم العربية..... ١٣٧
١- معاجم الألفاظ..... ١٣٧
أ- ترتيب الألفاظ بحسب مخارج الحروف..... ١٣٩
ب- ترتيب الألفاظ حسب الترتيب الهجائي مع مراعاة أواخر الأصول..... ١٤٣
ج- ترتيب الألفاظ حسب الترتيب الهجائي مع مراعاة أوائل الأصول..... ١٤٦
٢- معاجم المعاني..... ١٤٩
الملحق الثاني: الدراسات البلاغية..... ١٥٣
ثبت المصادر والمراجع..... ١٥٥

# المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أمّا بعد، فإنّ اللغة العربية التي تدين بتطورها إلى كونها لغة القرآن، يستخدمها ملايين الأشخاص منطوقة ومكتوبة في مناطق جغرافية واسعة جدًا اليوم، وتُدرّس لغة أجنبية في المؤسسات التعليمية لأغراض مختلفة من قبل العديد من الدول غير العربية.

والدراسات التي بدأت في صدر الإسلام حول هذه اللغة، استمرت بحماس في القرون التالية، وشكل اللغويون والنحاة الذين بدؤوا هذه الدراسات وطلابهم الذين حملوها إلى مناطق عديدة، مدارس نحوية مختلفة حسب بعض العوامل. إن محاور التفكير في هذه المدارس، ووجهات نظر العلماء حول المواضيع ومقارباتهم للغة، واختلافاتهم في الفهم والإدراك، وتدوين المواد المتعلقة باللغة والقواعد، كلّها زادت من أهمية هذا المجال الذي يتمتع بأرضية واسعة جدًا.

تهدف هذه الدراسة التي بين أيديكم إلى رصد الدراسات والجهود المبذولة في اللغة العربية وقواعدها من خلال إخضاعها لمنظور تاريخي. وفي هذا السياق، يتمّ أولاً تقديم الدراسة لخمس مدارس نحوية كمدرسة البصرة والكوفة وبغداد والأندلس ومصر–الشام، ثم كشف وضع اللغة العربية في العصر العثماني الذي وُصف بأنه فترة ركود، وتسليط الضوء على القضايا التي غالبًا ما كانت مهملة حول هذا العصر، وأخيرًا مناقشة الدراسات عن اللغة العربية وقواعدها في العصر الحديث والمحاولات الهادفة إلى مراجعة القواعد وتيسيرها.

وإضافة إلى ذلك، تمّ تزويد الدراسة بملحقين: الملحق الأول عن المعاجم العربية وأنواعها والملحق الثاني عن الإسهامات التي قام بها العلماء في علم البلاغة.

وأثناء كتابة هذه الدراسة المتواضعة، تم الاعتماد على الدراسات الحديثة باللغتين العربية والتركية إلى جانب المصادر الأساسية للغة العربية، وكان الهدف منها توفير المعلومات اللازمة والأساسية بشكل موجز لطلاب الجامعة والدراسات العليا والأشخاص المهتمين بهذه اللغة. وأثناء التعامل مع المراحل التي مرت بها اللغة العربية من البداية إلى الوقت الحاضر، في إطار خطة معينة تم أولاً تقديم معلومات عن الفترة، وبعد ذلك الممثلين المهمين لتلك الفترة والأعمال التي قاموا بإنتاجها، وعمومًا التركيز على أهم الأعمال التي قام بها كل عالم.

إنّ هذه الدراسة عامل مساعد لمَن يرغب من الدارسين أن يفتح باباً جديداً في تاريخ اللغة العربية ويتوسع في مطالعته ومتابعة وقائعه والاطلاع على سير أقطابه الذين قدّموا للعلوم اللغوية فوائد جليلة خلدت على الزمان في أسفار ليس لها مثيل في أية لغة أخرى. ولا أزعم أني أتيت فيها بجديد، وإنما هي معلومات جمعتها من مصادرها ومراجعها ووضعت كل جزء منها مع قرينه وحاولت عرضها وبيانها مع تعليقات مناسبة فتح الله بها.

وقد سمّيت هذه الدراسة المتواضعة «المقتضب في تاريخ لسان العرب» لعلّها تحبّب الدارسين في هذه المادة وترغّبهم في مطالعتها ومتابعتها فتحقق لهم خطوة إلى الأمام. والله ولي التوفيق.

عمر إسحاق أوغلو
إسطنبول في ٢٩/ ٨/ ٢٠٢٤

# أصل العرب

كانت للعرب أهمية كبيرة في تاريخ البشرية لِما قاموا به من إسهام ضخم في الحفاظ على العلوم الإنسانية التي استقوها من الأمم السابقة، مثل اليونان والفرس والرومان وغيرهم ممن سبقوهم. كما أن هذه الأهمية تزداد عند الاطلاع على تطويرهم لكثير من العلوم والمعارف الإنسانية، وتلك الإضافات الرائعة التي أدخلوها في كل علم وفن. فهم قد برعوا في الفلسفة، واستوعبوها وشرحوها شرحاً وافياً، كما أنهم تفوقوا في الرياضيات، وامتازوا بما قدموه للعالم في الطب والهندسة والفلك والعمارة والفنون الجميلة والعلوم الاجتماعية والإنسانية، وسائر العلوم الأخرى.

ولقد قام العرب بعد ظهور الإسلام بتطوير كبير لهذه المعارف، حتى أصبحت لهم المكانة الأولى فى ذلك طَوال القرون الوسطى التي كانت فيها أوروبا تعيش فترات جهل وشعوذة.

وصف المؤرخون العربَ بأنهم شعب ساميّ، أي إنه ينتمي إلى سام بن نوح، وذكروا أنهم ربما نزحوا من حوض البحر الأبيض المتوسط أو بلاد ما بين النهرين منذ تاريخ بعيد، ثم استقروا في شبه الجزيرة العربية. وانتشروا بعد ذلك فى ربوعها شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً ووسطاً، وأصبحت الجزيرة العربية منذ ذلك العهد وطناً لهم، استقروا فيه طوال الحقب حتى جاء الإسلام، فنزحوا إلى كثير من بلدان آسيا وإفريقيا وأوروبا.[1]

ورد ذكر العرب للمرة الأولى في الوثائق التاريخية من بين ما ورد في كتابات الملك الآشوري شالمنصر الثالث، حيث أفادت الألواح المكتوبة التي عثر عليها في بلاد ما بين النهرين أنه كانت هناك جماعات من القبائل البدوية تعيش في أطراف مملكته المتاخمة لصحراء الجزيرة العربية. وكانت هذه الجماعات تُغِيرُ على أطراف مملكته الفَيْنَة بعد الأخرى. وعرفت هذه الجماعات باسم العرب دون تحديد دقيق لنطق الكلمة أو شكلها، وذلك لعدم وجود الحركات والشكل في لغة أولئك الآشوريين القدماء، إلا أن الحروف الأصلية للكلمة كانت محددة وواضحة وهي عربو. وكانوا معروفين لدى الآشوريين بأنهم

---

[1] مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ٣ ج، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠، ص: ١/ ٣٥.

رجال بادية لا يقيمون في مدن حضرية، كما كانوا يستخدمون الجِمال في حلّهم وترحالهم، في حربهم وسلمهم[١].

عرف هؤلاء العرب تربية الجمال واستأنسوها بين عامي ١٥٠٠ و١٢٠٠ ق.م. وكان لعملهم هذا أهميته في التجارة العالمية بين الشرق والغرب، أي بين آسيا وأوروبا عبر الهلال الخصيب. وكانت هذه الإبل خير وسيلة لترويج التجارة بين أقطار العالم القديم، كما كانت أفضل السبل التي ساعدت على انتشار العرب فى سائر أنحاء شبه الجزيرة العربية.

عاش العرب في شبه جزيرة العرب في جماعات قبلية صغيرة، وكانوا يتبعون الكلأ والمرعى والمياه في شيء من عدم الاستقرار، رغم أنه كانت لكل قبيلة أراضيها التي فرضت عليها سلطانها، وادّعت ملكيتها. وكان التنازع على الكلأ والماء السمة الغالبة على هذه القبائل المتجاورة في تلك الأراضي، خصوصاً عندما تهطل الأمطار وينبت الكلأ وتنتشر المياه. وكانت كل قبيلة تدعي حمى الأراضي التي تسقيها الغمائم، وتقاتل القبائل الأخرى عنها، وكانت هذه المنازعات تنتهي في معظم الأحيان بقتال عنيف بين الجانبين.

وبالإضافة إلى أن العرب عرفوا بهذا الاسم لدى الآشوريين، فإنهم عرفوا به أيضاً لدى اليونانيين والرومان. وقد ذكرهم سترابو المؤرخ والجغرافي اليوناني الذي عاش بين عامي ٦٣ ق.م و ٢٤ م في كتابه الجغرافيا الذي أخرجه في ١٧ مجلداً، فذكر شيئاً عن زيارته لبلاد العرب، كما ذكر أنهم كانوا يستخدمون جِمالهم في نقل السلع التجارية على الساحل الغربي للبحر الأحمر مروراً بسيناء، ووصولاً إلى موانئ البحر الأبيض المتوسط الشرقية. وهذا يؤكد نشاط العرب في التجارة منذ فجر التاريخ[٢].

---

[١] محمد سهيل طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٩، ص: ٢٦.

[٢] الموسوعة العربية العالمية، ٣٠ ج، ط ٢، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩، ص: ١٦/ ١٩٨.

# أقسام العرب

قسم مؤرخو العرب الأوائل العرب إلى ثلاثة أقسام هي: العرب البائدة والعرب العاربة والعرب المستعربة.

**العرب البائدة**

يراد بالعرب البائدة تلك القبائل العربية التي كانت تعيش في الجزيرة العربية منذ أقدم العصور، ثم اندثرت لسبب من الأسباب. وقد اشتهرت من بينها أمّتان جاء ذكرهما في القرآن الكريم عدة مرات، وقصّ علينا القرآن الكريم أن هاتين الأمّتين – وهما عاد وثمود – قد أهلكهما الله سبحانه وتعالى، فاندثرت عاد بعد أن أرسل الله عز وجل عليها ريحاً صرصراً عاتية، وبسبب ذلك العذاب اندثرت عاد إلا مَن آمن فإنه بقي وانتشر في أنحاء مختلفة من الجزيرة العربية.

أما ثمود فقد أرسل الله سبحانه وتعالى إليهم رسوله صالحاً عليه السلام، ولكنهم كفروا بما بلّغهم به من آيات الله، فأهلكهم الله بالطاغية واندثروا في الجزيرة العربية.

وبالإضافة إلى هاتين المجموعتين، هناك قبائل أخرى من العرب البائدة هي طَسَم وجَديس والعماليق وجُرْهم الأولى وغيرها، وكل هذه القبائل لم تبق منها بقية في الجزيرة العربية، ومن بقي منها انتشر في البلاد دون أن يبقى له أثر.[1]

**العرب العاربة**

تنتمي العرب العاربة إلى يعرب بن قحطان، وهؤلاء هم الذين أطلق عليهم مؤرخو العرب القحطانيين، كما سموهم أيضا اليمنيين أو عرب الجنوب. وكان موطنهم الأصلي في جنوبي الجزيرة العربية، ولكن لظروف مختلفة – منها الجفاف وانهيار سد مأرب والبحث عن مكان أفضل – هاجر كثير من قبائلهم إلى أنحاء مختلفة من شبه الجزيرة. ومن أهم فروعهم الرئيسية حِمْيَر وكَهلان، وهما أبناء يعرب بن قحطان. ومن هذه الفروع الرئيسية تفرعت سائر القبائل اليمنية مثل طَيْء وجُهَيْنة وبلي وغيرها من القبائل اليمنية الأخرى[2].

---

[1] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ١٠ ج، ط ٢، بغداد، ١٩٩٣، ص: ١/ ٢٩٨-٣٠٠.

[2] المرجع نفسه ص: ١/ ٣٥٤-٣٥٥.

**العرب المستعربة**

ظهرت العرب المستعربة عندما رحل سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى مكة المكرمة مع زوجته هاجر، وهناك وهبهما الله سيدنا إسماعيل عليه السلام. ولما كبر إسماعيل تزوج من العرب العاربة وهي جُرْهم الثانية، وسمي نسله العرب المستعربة أو المتعربة. ويطلق على العرب المستعربة أيضاً العدنانيون والنزاريون والمعديون، وكلها أسماء للدلالة عليها. ومن قبائلهم قُرَيش وعَبْس وفَزارة ورَبِيعة ومُضَر وغيرها[١].

[١] المرجع نفسه ص: ١/ ٣٧٥.

# اللغة العربية

العربية إحدى اللغات السامية، وهي تنتمي إلى الفرع الجنوبي من اللغات السامية الغربية، ويشمل هذا الفرع شمال الجزيرة العربية وجنوبها والحبشة. وقد نشأت العربية الفصيحة فى شمال الجزيرة، ويرجع أصلها إلى العربية الشمالية القديمة التي كان يتكلم بها العدنانيون. وهي مختلفة عن العربية الجنوبية القديمة التي نشأت في جنوب الجزيرة، وعرفت قديماً باللغة الحميرية، وكان يتكلم بها القحطانيون.

وتعد النقوش القليلة التي عثر عليها الدليل الوحيد لمعرفة المسار الذي سارت فيه نشأة العربية الفصيحة. ويمكن القول من خلال تلك النقوش: إن أسلاف العربية الفصيحة هي: الثمودية واللحيانية والصفوية، وتشمل معاً فترة تقارب ألف عام، إذ يؤرخ أقدم النقوش الثمودية بالقرن الخامس قبل الميلاد، ويؤرخ أحدثها بالقرن الرابع أو الخامس الميلاديين، وترجع النقوش اللحيانية والصفوية إلى زمن يقع في الفترة ذاتها[1].

أما أقدم نص وجد مكتوباً بالعربية الفصيحة فهو نقش النمارة الذي يرجع إلى عام ٣٢٨م، ولكنه كان مكتوباً بالخط النبطي. ويلاحظ في ذلك النص التطور الواضح من الثمودية واللحيانية والصفوية إلى العربية الفصيحة[2].

وأما أقدم نص مكتوب بالخط العربي فهو نقش زَبَد الذي يرجع إلى سنة ٥١٣ م، ثم نقشا حَرّان وأم الجِمال اللذان يرجعان إلى عام ٥٦٨ م. وقد لوحظ أن الصورة الأولى للخط العربي لا تبعد كثيراً عن الخط النبطي، ولم يتحرر الخط العربي من هيئته النبطية إلا بعد أن كتب به الحجازيون لمدة قرنين من الزمان[3].

وظلت الكتابة العربية قبيل الإسلام مقصورة على المواثيق والأحلاف والصكوك والرسائل والمعلقات الشعرية، وكانت الكتابة آنذاك محصورة في الحجاز. ويعد القرن

---

[1] الموسوعة العربية العالمية، ص: ٢١/ ١٣٣.

[2] صالح بن إبراهيم الحسين، الكتابة العربية من النقوش إلى الكتاب المخطوط، دار الفيصل الثقافية، الرياض، ٢٠٠٣، ص: ٤٠.

[3] المرجع نفسه ص: ٤٠-٤٢.

السابق لنزول القرآن الكريم فترة تطوّر مهمة للعربية الفصيحة، وصلت بها إلى درجة راقية. ويدل على ذلك ما وصل إلينا على ألسنة الرواة من الشعر والنثر الجاهليين[١].

## العربية بعد نزول القرآن الكريم

كان نزول القرآن الكريم بالعربية الفصحى أهم حدث فى مراحل تطورها، فقد وحد لهجاتها المختلفة في لغة فصيحة واحدة قائمة في الأساس على لهجة قريش، وأضاف إلى معجمها ألفاظاً كثيرة، وأعطى لألفاظ أخرى دلالات جديدة. كما ارتقى ببلاغة التراكيب العربية. وكان سبباً فى نشأة علوم اللغة العربية كالنحو والصرف والأصوات وفقه اللغة والبلاغة، فضلاً عن العلوم الشرعية، ثم إنه حقق للعربية سعة الانتشار والعالمية.

لقد حملت العربية الفصيحة القرآن الكريم، واستطاعت من خلال انتشار الإسلام أن تبدأ زحفها جنوباً لتحل محل العربية الجنوبية القديمة، ثم عبرت البحر الأحمر إلى شرقي إفريقيا، واتجهت شمالاً فقضت على الآرامية في فلسطين وسورية والعراق، ثم زحفت غرباً فحلت محل القبطية في مصر. وانتشرت في شمال إفريقيا فخلفت لهجات البربر، وانفتح لها الطريق إلى غرب إفريقيا والسودان، ومن شمال إفريقيا انتقلت إلى إسبانيا وجزر البحر المتوسط.

كما كان للعربية أثر عميق في لغات الشعوب الإسلامية، فتأثيرها واضح في الفارسية والأردية والتركية والبشتو ولغة الملايو واللغات واللهجات الإفريقية. ومن غير الممكن الآن معرفة لغة أي بلد إسلامي وأدبه ومناحي تفكيره معرفة جيدة دون الإحاطة الجيدة بالعربية. وحين أخذ الأوروبيون ينهلون من الحضارة الإسلامية في الأندلس دخلت ألفاظ عربية كثيرة إلى اللغات الأوروبية، ففي الإنجليزية مثلاً ألفاظ عديدة ترجع إلى أصل عربي، كالجبر، والكحول، وتعريفة، ومخزن، وعود، وغير ذلك كثير[٢].

ظلت العربية تكتب غير معجمة (غير منقوطة) حتى منتصف القرن الأول الهجري، كما ظلت تكتب غير مشكولة بالحركات والسكنات. فحين دخل أهل الأمصار في الإسلام واختلط العرب بهم، ظهر اللحن على الألسنة، وخيف على القرآن الكريم أن يتطرّق إليه ذلك اللحن. وحينئذ توصل أبو الأسود الدؤلي إلى طريقة لضبط كلمات المصحف، فوضع

---

[١] الموسوعة العربية العالمية، ص: ٢١/ ١٣٣.

[٢] جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ٤ ج، بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٥، ص: ١/ ٣٦-٣٧.

بلون مخالف من المداد نقطة فوق الحرف للدلالة على الفتحة، ونقطة تحته للدلالة على الكسرة، ونقطة عن شماله للدلالة على الضمة، ونقطتين فوقه أو تحته أو عن شماله للدلالة على التنوين، وترك الحرف الساكن خالياً من النقط. إلا أن هذا الضبط لم يكن يستعمل إلا في المصحف[١]. وفي القرن الثاني الهجري وضع الخليل بن أحمد طريقة أخرى، بأن جعل للفتحة ألفاً صغيرة مضطجعة فوق الحرف، وللكسرة ياء صغيرة تحته، وللضمة واواً صغيرة فوقه، وكان يكرّر الحرف الصغير في حالة التنوين. ثم تطورت هذه الطريقة إلى ما هو شائع اليوم[٢].

أما إعجام الحروف (تنقيطها) فتم في زمن عبد الملك بن مروان، وقام به نصر بن عاصم الليثي ويحيى بن يعمر العدواني، كما قاما بترتيب الحروف ألفبائياً حسب ما هو شائع اليوم، وتركا الترتيب الأبجدي القديم (أبجد هوز)[٣].

وخطت العربية خطواتها الأولى نحو العالمية في الثلث الأخير من القرن الأول الهجري، وذلك حين أخذت تنتقل مع الإسلام إلى المناطق المحيطة بالجزيرة العربية. وفي تلك الأمصار، أصبحت العربية اللغة الرسمية للدولة، وأصبح استخدامها دليلاً على الرقي والمكانة الاجتماعية. وظلت لغة البادية حتى القرن الثاني الهجري الحجة عند كل اختلاف. وكان من دواعي الفخر للعربي القدرة على التحدث بالعربية الفصحى كأحد أبناء البادية. أما سكان الأمصار الإسلامية، فقد بدأت صلتهم بلغاتهم الأصلية تضعف شيئاً فشيئاً، وأخذ بعضهم يتكلم عربية مولدة متأثرة باللغات الأم. وقد كانت منطقة الشام أولى المناطق تعرّباً. ويلاحظ اختلاف لهجات أهل الأمصار في العربية تبعاً لاختلاف القبائل العربية الوافدة، ومن هنا كان اختلاف لهجات الكوفة والبصرة والشام والعراق ومصر بعضها عن بعض. وقبيل نهاية العصر الأموي، بدأت العربية تدخل مجال التأليف العلمي بعد أن كان تراثها مقصوراً على شعر وأمثال على ألسنة الرواة[٤].

---

١ صالح الحسين، المرجع السابق، ص: ٢٠١.

٢ المرجع نفسه، ص: ٢١٦-٢١٧.

٣ وهو المنتظم في قولهم (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ) وهذه الألفاظ لم يقصد منها إلا جمع الحروف في كلمات سهلة الحفظ.

٤ يوهان فك، العربية: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة عبد الحليم النجار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٤، ص: ٧-٩.

شهد العصر العباسي الأول مرحلة ازدهار الحضارة الإسلامية في مشرق العالم الإسلامي وفي مغربه والأندلس، وبدأت تلك المرحلة بالترجمة، وخاصة من اليونانية والفارسية، ثم الاستيعاب وتطويع اللغة، ثم دخلت طور التأليف والابتكار. ولم يعد معجم لغة البادية وحده قادراً على التعبير عن معاني تلك الحضارة، فحمل العلماء على عاتقهم مهمة تعريب مصطلحات غير عربية، وتوليد صيغ لمصطلحات أخرى، وتحميل صيغ عربية دلالات جديدة لتؤدي معاني أرادوا التعبير عنها. وبهذا استطاعت العربية التعبير عن أدق المعاني في علوم تلك الحضارة الشامخة وآدابها. وفي مطلع ذلك العصر، بدأ التأليف في تعليم العربية، فدخلت العربية مرحلة تعلّمها بطريق الكتاب، وكان هذا هو الأساس الذي قام عليه صرح العلوم اللغوية كالنحو والصرف والأصوات وفقه اللغة والبلاغة والمعاجم. وعلى الرغم من انقسام العالم الإسلامي إلى دويلات في العصر العباسى الثاني، واتخاذ لغات أخرى للإدارة كالفارسية والتركية، فإن اللغة العربية بقيت لغة للعلوم والآداب، ونمت الحركة الثقافية والعلمية في حواضر متعددة، كالقاهرة وحلب والقيروان وقرطبة[١].

[١] محمود فهمي حجازي، اللغة العربية عبر القرون، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٨، ص: ٥٧-٦٠.

# نشأة علم النحو

إن علم النحو هو جزء أو أحد علوم اللغة العربية التي يتوصل بها إلى عصمة اللسان والقلم عن الخطأ. وهي اثنا عشر علماً: «النحو، الصرف، متن اللغة، المعاني، البيان، البديع، العروض، القوافي، قرض الشعر، الإنشاء، الاشتقاق، تاريخ الأدب. ويعد علم النحو أعلاها مرتبة؛ إذ بدونه لا تصحّ كل هذه العلوم. وهو يبحث في أصول تكوين الجملة وقواعد الإعراب وهدفه أن يحدد أساليب تكوين الجمل ومواضع الكلمات والخصائص التي تكتسبها الكلمة من ذلك الموضع.

ولم يكن العرب قبل الإسلام في حاجة إلى علم النحو، لأنهم كانوا ينطقون النطق الصحيح بالفطرة السليمة والسليقة النقية. ولما اتسعت الدولة العربية بعد الإسلام واختلط العرب بغيرهم من العناصر غير العربية فسدت الألسنة وظهر اللحن أيام الرسول والخلفاء الراشدين وانتشر بانتشار الإسلام أيام خلافة الأمويين والعباسيين.

ولذلك كان الهدف الرئيسي لنشأة علم النحو وتطوره، هو المحافظة على اللغة العربية بوصفها لغة القرآن الكريم وصيانتها من اللحن الذي أخذ يشيع بعد أن اتسعت رقعة الدولة الإسلامية. بالإضافة إلى هذا، هناك أسباب أخرى عجّلت ظهور هذا العلم تتمثل في اعتزاز العرب بلغتهم وتراثهم وحرصهم عليهما مما قد يفسدهما ويؤثر فيهما، وحاجة الجيل الجديد وخصوصاً الموالي إلى فهم اللغة العربية وتعلّمها، والعوامل السياسية التي حاولت تفضيل العرب على غيرهم من الأمم.

## من بوادر اللحن التي كانت سبباً في وضع علم النحو

بدأ اللحن قليلاً خفيفاً منذ أيام الرسول على ما يظهر، فقد لحن رجل بحضرته فقال: «أرشدوا أخاكم؛ فإنه قد ضلّ»[1] والظاهر أيضاً أنه كان معروفاً بهذا الاسم نفسه (اللحن) بدليل أن السيوطي روى عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قوله: «أنا من قريش ونشأت في بني سعد، فأنّى لي اللحن؟!» وقد كان أبو بكر الصديق يقول: «لأن أقرأ فأسقط أحبّ إليّ من أن أقرأ فألحن»[2].

---

[1] ابن جني، الخصائص، ٣ ج، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٠، ص: ٢/ ٨.

[2] السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، مجلدان، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ص: ٢/ ٣٩٧.

فإذا بلغنا عهد عمر – رضي الله عنه – رأينا المصادر تثبت عدداً من حوادث اللحن. فتذكر أن عمر مرّ على قوم يُسيئون الرمي فقرعهم، فقالوا: «إنّا قوم متعلمين»، فأعرض مغضباً وقال: «والله لخطؤكم في لسانكم أشدّ عليّ من خطئكم في رميكم».[١] وورد إلى عمر كتاب أوله: «من أبو موسى الأشعري»، فكتب عمر لأبي موسى بضرب الكاتب سوطاً. والأنكى من ذلك تسرّب اللحن إلى قراءة الناس للقرآن[٢]، فقد قدم أعرابي في خلافة عمر فقال: «من يُقرئني شيئاً مما أنزل على محمد؟ « فأقرأه رجل سورة براءة بهذا اللحن: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ ...﴾[٣] فقال الأعرابي: «إن يكن الله بريئاً من رسوله، فأنا أبرأ منه» فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه فقال: يا أمير المؤمنين، إني قدمت المدينة ... وقصّ القصة فقال عمر: «ليس هكذا يا أعرابي» فقال: «كيف هي يا أمير المؤمنين؟ « فقال: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ فقال الأعرابي: «وأنا أبرأ ممن برئ الله ورسوله منهم». فأمر عمر ألا يُقرئ القرآن إلا عالم باللغة.[٤] ولعمر تنسب تلك المقولة المأثورة: «تعلموا العربية؛ فإنها تثبت العقل وتزيد في المروءة».[٥]

ونتقدم خطوة في الزمن فيقصّ علينا ابن قتيبة المتوفى في سنة ٢٧٦ هـ أن رجلاً دخل على والي العراق زياد بن أبيه فقال له: «إن أبينا هلك وإن أخينا غصبنا على ميراثنا من أبانا» فقال زياد: «ما ضيعت من نفسك أكثر مما ضاع من مالك»، وأن أعرابياً سمع مؤذناً يقول: «أشهد أن محمداً رسولَ الله» بالنصب فقال: «ويحك، يفعل ماذا؟»، وأن أعرابياً دخل السوق «فسمعهم يلحنون فقال: سبحان الله! يلحنون ويربحون، ونحن لا نلحن ولا نربح!».[٦]

وقد انتشر اللحن حتى أعدى الخاصة فأصبح مَن لا يلحنون يُعَدُّون على الأصابع، قال الأصمعي المتوفى في سنة ٢١٦ هـ: «أربعة لم يلحنوا في جدّ ولا هزل: الشعبي وعبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف وابن القرية، والحجاج أفصحهم»[٧]. وانتقل اللحن

---

١ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٢٠ ج، مطبوعات دار المأمون، ص: ١/ ٦٧.

٢ سعيد الأفغاني، من تاريخ النحو، دار الفكر، ص: ٩.

٣ سورة التوبة ٩/ ٣.

٤ كمال الدين الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٨، ص: ١٧-١٨.

٥ معجم الأدباء، ص: ١/ ٧٧.

٦ ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٣ ج، تحقيق: منذر محمد سعيد أبو بشر، بيروت: المكتب الإسلامي، ٢٠٠٨، ص: ٢/ ١٨١.

٧ محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ط ٢، القاهرة: دار المعارف، ص: ١٧.